**سلسلة إظهار الدين رسالة رقم (5)**

# الإكراه وحرمة الإضرار بالمسلمين

جمع وكتابة
عبد الرحمن بن عبد القوي التركي

قدم له ...
الشيخ أبو محمد المقدسي حفظه الله

## مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد ،...

فقد اطلعت على هذه الرسالة الصغيرة في حجمها ، الخطيرة في موضوعها لأخينا عبد الرحمن التركي وفقه الله ، فرأيته قد طرق فيها موضوعاً غاية في الأهمية والخطورة ، ولا يعرف أهميته حق المعرفة إلا من عانى وكابد بعض تكاليف هذه الدعوة وتبعات هذه الطريق كما قيل :

لا يعرف الشوق إلا ولا الصبابة إلا من
من يكابده يعانيها

فكل داعية من دعاة التوحيد خاض تجربة عملية دعوية جهادية مع أعداء الله يعرف أهمية ما دعا إليه الأخ في هذه الورقات ، من ضرورة الأخذ بالعزيمة والتضحية والفداء في مواقف المواجهة مع أعداء الله ، ويُقدّر كم في ذلك من أسباب عزة لهذا الدين ورفعة لأهله وإلقاء الرعب في قلوب أعدائه ، وأن التفريط في ذلك والتهاون فيه مدعاة إلى ذلة أتباع هذه الدعوة ، وتفرقهم شذر مذر ، وهو مظنة إيقاع الفتنة والفرقة والشقاق والخلاف في صفوفهم .

والمتدبر لأوضاع سلف هذه الأمة من الصحابة وتابعيهم من خير القرون ، وما قدموه من تضحيات وثبات وفداء يعرف شيئاً من أسباب قوتهم ، ودواعي أن ينصروا بالرعب الذي كان يقذفه الله في قلوب أعدائهم .

**ويحضـرني فـي هـذا المقـام ممـا يناسـب موضوع هـذه الرسـالة قصـة الصـحابي خـبيب رضي الله عنه لما أسـر وأرادت قريـش قتلـه ، وقالوا له : أتحب أن محمداً مكانك؟**

**فأجـابهم بعـزة المسـلم وثبـات الموحـد وعزمة الشهيد : لا والله العظيم ما أحـب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه ،** ثـم تمثـل بأبيـاته الخالدة المشهورة :

**فلسـت أبـالي حيـن علـى أي شـق كـان أُقتَلُ مسلماً في الله مصرعي**
**وذلـك فـي ذات الإلـه يبارك علـى أوصـال وإن يشأ شِـلوٍ ممزع**

**يقـول هـذا وهـو يعـاين حرابهـم وسـيوفهم وأسنتهم مشرعة موجهة إلى نحره فلا تطرف له عين ، أو ترجف له شفة . أو يتردد أو يتلعثم في مواجهتهم .**

**وإن أصـحاب هـذه الـدعوة المباركـة ، لحـريٌ بهم أن يقفوا عند هذه المعاني ويتدبروا مثـل هذه المواقف ويراجعـوا حسـاباتهم ، ويرصـوا صفوفهم في مواجهة أعداء الله وأثناء عملهم لأجل القيام بأمر هذا الدين .**

**ولا ينبغـي لهـم أن يتهـاونوا فـي هـذا الأمـر الخطير فقـد أمسـى بعـض الشـباب وللأسـف الشـديد وإن لـم يكونـوا عملاء لأعـداء الـدين ؛ أمسوا مستعملين لهم شاؤوا أم أبوا .. فـإنهم إذا ما اعتقلوا وهددوا بعض التهديـد أو أخـروا في الزنازين شيئا من الأسابيع أوالشهور ترى الواحد منهم ينفض لهـم جعبتـه بكـل مـا فيهـا دون لـف أو دوران وإذا مـا سـئل عـن سـؤال محدد أجاب معـه عـن ثلاث أو أربعـة أخـرى لـم**

يسأل عنها بل إن منهم من يفعل ذلك دون أدنى تهديد ويخلص في الإجابة ويتحرى الصدق والدقة !! ولا يكترث أو يبالي بهذا الخور ولو كان فيه ضرر على إخوانه ودعوتهم أوجهادهم ؛ ظاناً أن ذلك سيعجل بخلاصه من أعداء الله وما درى المسكين أنهم بذلك يزدادون تسلطاً عليه ويطمعون بالمزيد والمزيد .. حتى إن أعداء الله ليحصّلوا من المعلومات والأسرار من طريق هؤلاء المستعملين ما لايحلمون بتحصيله من طريق العملاء الأذناب المأجورين الذين وإن تزيوا بزي أهل الدين والدعوة والجهاد وحاولوا الاندساس في صفوف المجاهدين إلا أن المجاهدين يعرفونهم بسيماهم ويفتضحون عندهم بلحن قولهم وقلة دينهم مما يحول دون إنغماسهم انغماساً حقيقياً في الصف المسلم ولذلك فإن ضررهم أخف .. بخلاف أولئك المنتسبين للدعوة إلى التوحيد والجهاد فإن كثيراً من أصحاب هذا التيار يتساهلون في تقريبهم وإطلاعهم على خاصة أمرهم دون تمحيص لأحوالهم مما يعود بالضرر الفادح عليهم وعلى إخوانهم فيما بعد ، والصحيح أنه لا ينبغي أن يعطى كل منتسب لهذه الدعوة ما يعطى الراسخ فيها، وليس كل أخ من إخواننا ولو كان من خيرة الدعاة يصلح أن يحمّل ما لا يحتمله ، وهذا ليس بدعاً من القول فقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة من أصحابه وأهل عيبة ومشورة ونصح لايطلع غيرهم على ما يطلعون عليه ..فلا

ينبغي أن يفرط الدعاة في هذا الباب ثم يعضون بعدها أصابع الندم ..

كما وأن على كل منتسب لهذه الدعوة أن يتق الله في دعوته وإخوانه فلا يفرط في سرهم لأدنى تهديد بل عليه أن يأخذ بالعزيمة دائما ويصبر ويحاذر كل الحذر أن يؤتى إخوانه من قبله فإنه على ثغرة من ثغور هذه الدعوة، وليعلم أنها دعوة يحاربها طواغيت الشرق والغرب ويرميها العالم كله بقوس العداوة وليست دعوة متخمة مترفة مرضيا عنها !! فإما أن يأخذها بحقها ويصبر على تكاليفها أو فليذر التمسّح بأهلها والتشبع بما لم يعط وليقبل على أمر خاصته فهو والله أعذر له عند الله من أن يكون سبباً في أسر أو إهلاك أخ موحد مجاهد أو إحباط عمل أو تشويه دعوة أو تخذيل جهاد ..

وربما استدل أولئك المستعملين بشبه يظنون أنها تسوغ لهم ذلك أو ترخص فيه رد عليها أخونا في بحثه هذا ؛ ويتغافلون عما كان يربي عليه النبي صلى الله عليه وسلم صحابته في زمن الاستضعاف من الصبر والثبات ويقص عليهم أخبار أهل الإيمان والثبات وأولي العزم من الرسل والدعاة الذين كان يحفر لأحدهم الحفرة فيوضع فيها ثم يمشط بأمشاط الحديد دون لحمه وعظمه ويؤتى بالمنشار فيوضع في مفرق رأسه فيشق شقين ما يرده ذلك عن دينه ..

ذلك بأن نصر الدين لا يكون بتتبع الرخص والبحث عن المعاذير ، وإنما يكون ذلك ببذل

**الــدماء وتقــديم التضــحيات ، فبــذلك نصــره وأوصله إلينـا مـن كـان قبلنـا مـن الصـالحين ، وكذلك ينصر في كل زمان ومكان .**

**أسأل الله تعالى أن يجعلنـا مـن أنصـار دينـه ، وأن يلم شـعث الموحـدين ، ويوحـد صـفوفهم وينصــرهم علــى مــن عــاداهم ، وأن يكبــت أعدائهم ويجعل كيدهم في نحورهم ، إنـه نعـم المولى ونعم النصير .**

**والحمد لله أولاً وآخراً**

**كتبه أبو محمد المقدسي**

**عيد الفطر المبارك 1421من هجرة المصطفى **

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله .

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 102] ، وقال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء: 1] ، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب: 70-71] .

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

لقد كثر الكلام والنقاش والجدل وأيضاً الجهل من قلة البحث وعدم العلم الصحيح بمثل هذه الأمور المهمة اليوم ، وكثرت الأخطاء والأضرار التي تتعلق بالمسلمين

**والمسلمات ، وأوقع الأخ أخاه في الضرر ، والأخت أختها في الضرر، بسبب عدم المعرفة وقلة العلم وغياب من ينبّه على مثل هذه الأمور ، ويذكر المسلمين ذكرى تنفعهم في الدنيا والآخرة .**

**فكان حقاً علينا أن نكتب ونبين ما نعرف من الحق في هذا الأمر ، ونكشف اللبس فيه ، ولا نكتم حقاً عرفناه والحمد لله ، ونكون عوناً لإخواننا في هذه الأوقات الصعبة ، ونكون عوناً لهم على أنفسهم وعلى الشيطان ، وعلى أهل البدع وأهل الفسق وأهل الكفر والشرك ، ونكون لمنهج أهل الحق ناصرين ، منهج أهل السنة والجماعة ، الذي قلّ أهله من كثرة الشرك وأهله ، وكثرة البدع وأهلها ، وكثرة الفسق أهله ، وكذلك لقلة من يبين لهم الحق فيه ولقلة الكتابة فيه ، فالأمر هو :**

**إكراه المسلم على إيقاع الضرر بالمسلمين في سجون أهل الشرك ، أي إكراه المسلم في سجون الطواغيت من قبل أعوانهم الكفرة للاعتراف والتكلم والإضرار بالمسلمين ، وأن كان في تنظيم أو جماعة أو مجموعة أو حتى فرادى ، نذكر الحكم فيه شرعاً وعقلاً والمصلحة والمفسدة فيه ، ولقد سميت هذه الرسالة:**

## ( الإكراه وحرمة الإضرار بالمسلمين )

**ملاحظة :**

نشكر إخواننا الذين ساهموا في إخراج هذه الرسالة ، ونسأل الله أن يوفقنا إلى كل خير ، وجزاهم الله كل خير .

# اللهم يسر وأعن يا كريم

﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٠٦-١١٠] .

الإكراه : هو إلزام الغير بما لا يريده .

وشروط الإكراه أربعة :

الأول : أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به ، والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

**الثاني : أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .**
**الثالث : أن يكون ما هدد به فورياً .**
**الرابع : أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره[1] بهذه الشروط ، وهذا التعريف يقع الإكراه الملجئ ، الإكراه الصحيح الذي يعذر صاحبه به ، في قول أو فعل الكفر عند التعرض للإكراه .**
**ولكن ما حكم من يُكره من المسلمين في سجون أهل الشرك على الإضرار بإخوانه ، بمعنى الاعتراف عليهم ، وتعريف أماكنهم وأحوالهم لأهل الشرك ، وكل ذلك تحت الإكراه .**
**- فهل يحل للمسلم الاعتراف على المسلمين وإحضارهم إلى الكافرين مع الإكراه ؟**
**قبل الخوض في الجواب على هذا السؤال المهم جداً ، نقول وبالله التوفيق , إن هناك أموراً يجب على المسلم معرفتها وهي :**
**- أولاً : يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات:10]**
**ويقول : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [التوبة:71] ، ويقول الله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة:2]**
**ويقول الله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا**

---

[1] فتح الباري جزء (12) كتاب الإكراه .

**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر:1-3] ، ويقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ [الصف:4] .**

**ويقول النبي ﷺ : » المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً « ، وشبك بين أصابعه . متفق عليه.**

**ويقول ﷺ : » مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى « متفق عليه .**

**ويقول ﷺ : » المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمُه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله بها كربة من كُرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً سترهُ الله يوم القيامة « متفق عليه .**

**ويقول ﷺ : » المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عِرْضهُ ومالهُ ودمهُ ، التقوى ههنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم « رواه الترمذي وقال: حديث حسن .**

**ويقول ﷺ : » لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخواناً ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله « رواه مسلم**

**ويقول ﷺ : » لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه « متفق عليه .**

ويقول  : » انصر أخاك ظالمـاً أو مظلومـاً « فقال رجل : يـا رسـول اللـه ! أنصـره إذا كـان مظلوماً ، أرأيت إن كان ظالمـاً كيـف أنصـره ؟ قال : » تحجـزه – أو تمنعـه – مـن الظلـم فـإن ذلك نصره « . رواه البخاري [1].

ويقول  : » والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه « رواه مسلم .

فهـذه الآيـات والأحـاديث دالـة علـى تعظيـم حرمات المسلمين ، ومبينة لحقـوقهم ورحمـة بعضهم ببعض ، والتعـاون بينهـم علـى الخيـر ، وحرمة أذاهـم ، والإحسـان إليهـم ، والمـوالاة التامـة لهـم ، والقيـام علـى خـدمتهم ، وسـتر عوراتهم ونصرتهم ، والـذب عنهـم والتواصـي بينهم بالحق والصبر .

فكيف يكون المسلم أخا المسلم وهو يعـترف عليه أمام الكفرة ويفشي ما بينهم من أسـرار لنصرة دين الله تعالى ! وكيف يكـون المسـلم موالياً للمؤمنين وهو يدل على أخيـه ، ويتكلـم بما عمله لدين الله للكفرة المرتـدين ؟ وكيـف يكون المسلم عوناً للمسلم على البر والتقوى وهو يجر أخـاه إلـى أهـل الـردة ، وهـو يعـترف عليـه ويـبين لهـم أمـاكن أسـرارهم ؟ وكيـف يكون المسلم من الذين تواصوا بالحق والصبر وهو لا يصبر على البلاء والحديد والنار ، ويريـد أن يكون أخوه معه ؟ وكل ذلك بحجـة الإكـراه ، وكيف يكـون المسـلم صـفاً هـو وأخـوه وهمـا

---

[1] من فقه البخاري رحمه الله أنـه ذكـر هـذا الحـديث فـي كتاب الإكراه ، وذكره أيضاً شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة كمـا سنذكره عنه ، فهذا فقه السلف الذين نفهم بفهمهم .

كالبنيان المرصوص ، وكلاهما يعترف على أخيه ويدل على عورة أخيه ؟ وكيف يكون المسلم كالجسد الواحد لباقي المؤمنين وهو لا يتحمل العذاب بل يجر باقي الجسد ليكون العذاب على كل الجسد بحجة الإكراه ؟ وكيف يكون المسلم في حاجة أخيه وعونه وهو يقول للكفار : أخي هو المسؤول وأنا غير مسؤول عمّا حصل؟ وكيف لا يخذل المسلم أخاه ولا يحقره ولا يظلمه وهو يسلمه إلى الكفرة الفجرة ليفعلوا به الأفاعيل من الضرب والقطع والقتل ؟ وكيف يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه ؟ فهل يحب المسلم لنفسه العذاب والسجن والقتل ، وهو كذلك يحب لأخيه ؟ وكيف ينصر المسلم أخاه وهو لا يمنع عنه الكفار ، بل يسلمه لقمةً سائغةً إليهم بذلك الاعتراف ، وقد يصل الحد أن يقول : إنه المسؤول عن كل شئ في هذا التنظيم أو هذه الجماعة ، وللأسف الشديد جداً قد حصل هذا وأكثر منه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كيف يكون المسلم ستراً لأخيه المسلم وهو يأتي بأخيه تحت التعذيب والكفار يهتكون ستر المسلم بالكلام والسب والقول الفاحش ، ويصل الحد والعياذ بالله إلى الفعل به ، وقد حصل ، وكل ذلك تحت حجة الإكراه .

- **ثانياً** : وجوب تخليص المسلمين من أيدي الكفار ودفع المال لذلك ، وبذل النفس حتى لا يبقى أسرى تحت أيدي الكفار .

يقول القرطبي رحمه الله في تفسيره عند [الآية 85 ،من سورة البقرة] : "قال علماؤنا : فداءُ الأسرى واجب . وإن لم يبقى درهم واحد . قال ابن خويز منداد : تضمنت الآية وجوب فك الأسرى ، وبذلك وردت الآثار عن النبي  أنه فك الأسرى وأمر بفكهم ، وجرى بذلك عمل المسلمين وانعقد به الإجماع ، ويجب فك الأسرى من بيت المال ، فإن لم يكن فهو فرض على كافة المسلمين ، ومن قام به منهم أسقط الفرض عن الباقين " .

وذكر أيضاً رحمه الله في تفسيره عند [الآية 72 ،من سورة الأنفال] : "قال ابن العربي : إلا أن يكونوا أُسراء مستضعفين ، فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين حتى تخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك ، وتبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم ، كذلك قال مالك وجميع العلماء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، على ما حل بالخلق من تركهم إخوانهم في أسر العدو ، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجَلَد " انتهى .

قال المصنف عفا الله عنه : فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، إننا في هذا الوقت ، وفي هذه الديار ديار الردة والكفر ، وإخواننا في سجون الطواغيت ونحن لا نحرك ساكناً ولا نفعل شيئاً ، وإن كان الواجب عينياً على كل مسلم استنقاذ الأسرى ، وذلك لأنه لم يقم بذلك أحد من المسلمين ، والأعظم منه

والأكبر ضياع توحيد الخلاّق وعبادة غيره ، وعاد الإسلام غريباً كما بدأ ، اللهم اغفر لنا وارحمنا وانصرنا على القوم الكافرين .

هذا قليل من كثير من أقوال العلماء في وجوب فك أسرى المسلمين . والسعي في ذلك بالمال والنفس ، ولكننا اليوم نجُرُّ أنفسنا وإخواننا إلى الأسر بتلك الاعترافات عند الوقوع تحت أيدي الكفار ، فكيف نحقق الوجوب المجمع عليه ، ونحن نفعل خلافه ، وكل ذلك بحجة الإكراه ؟ .

- **ثالثاً** : هذه بعض القواعد الفقهية الخاصة بموضوع الإكراه ، وما يتعرض له المسلم من التعذيب والسجن والقتل لأجل الإضرار بالمسلمين من قبل الكافرين.

- قاعدة الضرورة تقدر بقدرها : إذا رخصّ الشارع في قول الكفر وفعله تحت الإكراه ، فلا يعني ذلك دوام الكفر حتى ولو انتفى الإكراه الملجئ ، ويحصل من المسلمين اليوم قول الكفر أو فعله من غير إكراه ، مثل المسلم يطلبه الكفار للتحقيق معه وبدون أي إكراه منهم ، يقول : أنا أحافظ على دولتكم وأنا أحب الطاغوت وأنا يهمُّني أمن الدولة واستقرارها ، والواجب أن أدافع عنها ، وغير ذلك من الكلام الكفري ، مع أنهم لم يطلبوا منه ذلك ولم يكرهوه عليه فالضرورة تقدر بقدرها ،إذا أكره المسلم على الكفر ، هنا جاءت الرخصة ، وتنتهي الرخصة بانتهاء الإكراه ، ولا زيادة من قول أو فعل الكفر بعد

انتهاء الإكراه ، ومن زاد بعد انتهاء الإكراه من قول الكفر أو فعله كان كافراً .
فليعلم المسلم هذا الحكم ، وليكن على حذر من الوقوع فيه ، وليعلم أن التقية لا تحصل إلا بالإكراه ، وليس بالظن والهوى والخوف الذي يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة .
- وقاعدة : الضرورات تبيح المحظورات : الذي رخصّ في الكفر هو الإكراه ، وليس الخوف من المشركين ولا دفع ضررهم بالكفر من غير إكراه ، واليوم من النادر أن يطلب الكفار من المسلم أن يكفر ويترك الدين ويسبه ، ولكن الأمر غير ذلك .
- وقاعدة : إذا زال المانع عاد الممنوع : فإذا زال مانع الإكراه عاد الممنوع الذي هو حرمة قول الكفر وفعله .
- وقاعدة : يُتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام : فالمسلم عليه أن يتحمل الضرر الخاص به وحده لأجل دفع الضرر عن المسلمين ، يتحمل التعذيب والضرب والقتل لأجل غيره من المسلمين ، أي : ذهاب فرد أولى من ذهاب مجموعة كاملة أو تنظيم ، فالضرر في الواحد أولى من الضرر في المجموعة أو الجماعة .
- ومثله قاعدة الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف ، ومثله قاعدة : إذا تعارضت مفسدتان دفع أعظمهما ضرراً بارتكاب أخفهما .
- ومثله قاعدة : يختار أهون الشرين ، فدفع المسلم عن نفسه الضرر بالاعتراف على باقي إخوانه وخاصةً إذا كان يجمعهم عمل

لدين الله ، فلا شك أنهما مفسدتان همـا هلاك مسلم أو أكثر . فهلاك مسـلم[1] مـع الضـرورة أولى من هلاك أكثر من مسلم ، فيدفع بالأخف لتفـادي الأعظـم وفيمـا ذكرنـا مـن القواعـد كفاية لكي يعلم المسلم أن الأمـر يحتـاج إلـى أمـر شـرعي ودليـل صـحيح حـتى يقـدم علـى العمل بيقين ، وليس بالجدل والجهـل والكلام العقلي الخالي من الدليل النقلي .

---

(1) ونحن لا نبيح للمسلم أبـداً أن يهلـك نفسـه بـالاعتراف عليها وتلبيسها عمل الجماعة ، فهذا أيضاً لا يجوز ، فعلـى المسلم الحفاظ على نفسـه وعـدم الاعـتراف عليهـا ولـو قتلوه ، فالاعتراف يزيد البلاء ويزيد تسـلط الكفـار عليـه ، وقد يقع في الاعتراف علـى بـاقي إخـوانه ، فالإنكـار هـو أحسن الأقوال .

## فصل

نشرع وبالله التوفيق والإعانة في الجواب على السؤال الذي طرحناه في أول الرسالة : فهل يحل للمسلم الاعتراف على المسلمين وإحضارهم إلى الكافرين مع الإكراه ؟

نقول ولله الحمد : إنه لا إكراه أبداً لمثل هذه الحالة ، ولا يعتبر إكراهاً يعود بالضرر على المسلمين ، وليس الإكراه مانعاً من لحوق الإثم لمن فعل مثل هذا الفعل ، وحرمة هذا الأمر شرعاً وعقلاً واضحة كما كانت عند سلفنا الصالح محكمة بينة واضحة .

ذكرنا الآيات والأحاديث الدالة على حرمة الإضرار بالمسلمين ، ووجوب العون لهم والوقوف معهم ونصرتهم ، وهذا من موالاة المؤمنين .

فكيف يحل الإضرار بهم بحجة الإكراه ؟ وكيف تلغى كل تلك الواجبات ، وأيضاً الحرمة ، من أجل أمر مثل هذا ؟ أنه خطأ بيّن أن يظن أن الضرر بالمسلمين عند الإكراه رخصة .

وذكرنا الإجماع على وجوب فك أسرى المسلمين بالمال والنفس وحرمة التفريط فيه ، وعدم الإعانة عليه ، ثم المسلم يخالف هذا الوجوب وهذه الحرمة ليحضر أخاه إلى الكفار ويضعه أمامهم ليفعلوا فيه ما حرمه الله تعالى ، ثم إن المسلم هو القوي والكافر هو الضعيف ، والمسلم أعلى وأجلّ من الكافر ، فكيف يتم العكس ؟ وكل ذلك بحجة الإكراه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه ( السياسة الشرعية ) عن من آوى

محارباً ، أو سارقاً ، أو قاتلاً ونحوهم ، ممن وجب عليه حد أو حق لله تعالى ، أو لآدمي ، أو أنه عرف مكانه ، كان عليه الإعلام به ، والدلالة عليه ، ولا يجوز كتمانه فإن هذا من باب التعاون على البر والتقوى وذلك واجب[1] "

بخلاف ما لو كان النفس أو المال مطلوباً بباطل ، فإنه لا يحل الإعلام به ، لأنه من التعاون على الإثم والعدوان ، بل يجب الدفع عنه ، لأن نصر المظلوم واجب ، ففي الصحيحين ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(١) إلى هنا ملخصاً عنه رحمه الله .

[illegible]

(٢) لم يكن في الكتابة الرد على الشبه المتعلقة بهذا الموضوع ، ولأننا نعلم أن كل مسلم علم العلم الصحيح ، ووفقه الله إلى الحكم الشرعي المحكم ، الذي أوضحناه في هذه الرسالة ، لن يدخل عليه أي تسائل أو شبهة أو التباس ، فهو رد المتشابه إلى المحكم ، ولكن بعد ما كتبنا هذه الوريقات ، وتم عرضها على بعض إخواننا ، عرضوا علينا شبهة وأرادوا الرد عليها ، وبعد الإلحاح منهم ، عزمت ثم توكلت على الله وحده لا شريك له في إدراج هذه الشبهة والرد عليها في حاشية هذه الكتابة .=

= ورد في حديث الرسول [illegible] ، المتفق عليه ، حديث الغلام والملك ، " أن جليس الملك بعد أن آمن وشفاه الله من العمى ، جلس إلى الملك ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي ، قال : ولك رب غيري ؟! قال : ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، والغلام دل على الراهب ، فدعا الملك بالمنشار فوضع في مفرق رأس الجليس فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فشقه حتى وقع شقّاه ، وكذلك فعل بالراهب " .

فقال أهل الشبهة : أن النبي [illegible] لم يتكلم عن دل الجليس على الغلام ، وكذلك الغلام على الراهب ، فهذا السكوت دليل على إقراره ، وهذه رخصة منه [illegible] .

قلنا ولله الحمد وعليه التكلان : سكوت النبي [illegible] ، لا يدل على الإقرار وذلك أن التحريم جاء في نصوص أخرى وهذا ما ذكرناه في الرسالة تفصيلاً وبياناً .

ومع هذا قد يسكت الشارع عن أمور في مواطن يكون قد فصلها في مواطن أخرى كما في قوله تعالى [illegible]:

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ [illegible] [illegible]

يعملون التماثيل وهي الصور المجسمة من النحاس

[illegible]

---

وغيره ، فهل هذا يعني أن الله عندما سكت عنها فـي هـذا الموضع أحلها -لهذه الأمة -؟ لا ولكن وردت نصوص أخـرى دلت على حرمتها كمـا قـال ﷺ : » إن الـذين يصـنعون هـذه الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : إحيوا ما خلقتـم « متفق عليه .
ونقول أيضاً : هل شرع من قبلنا هو شرعٌ لنـا ؟ إنـه يكـون شرع لنا ، إذا لم يخالف شرعنا ، وفي هذه الحالة قد خالف شرعنا ، كما ذكرنـا الإجماعـات الـتي تحـرم أذيـة المسـلم للمسلم تحت الإكراه .
إن الله قد رخص لنا الكفر تحت الإكراه ، ولم يكن هذا فـي شريعة من قبلنـا ، كمـا قـال ﷺ : » إن اللـه تجـاوز لـي عـن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه « حـديث حسـن رواه ابن ماجة والـبيهقي وغيرهمـا [راجـع جـامع العلـوم والحكـم الحـديث التاسـع والثلاثـون] ، وحـديث الغلام دل على ذلك فهم دل بعضهم على بعض لأن الله رخص لهـم ، ولـم يرخـص لهـم فـي الكفـر تحـت الإكـراه ، بـل أن فـي الحديث أن الناس قتلوا أفواجاً ، أفواجاً ، حتى أن الصـغير تحدث لأمه لكي ترمي نفسها في النار ولا تتقاعس ، فدل ذلك على أن الذي يكفـر فـي حالـة الإكـراه يكـون كـافراً ، وهذا في شريعة من قبلنا .
وفي هذه الأمة تغيرت الأحكام ، ورخّص الله في الكفر بعد الإكراه ، وحرّم أذية المسلم للمسلم تحت الإكـراه ، وذلـك أن الله تعالى يعلم ما في القلـوب فجعـل رخصـة الإكـراه في الكفر متعلقة به سبحانه لأنه يعلـم مـن يكفـر ومـن لا يكفر ، وعلـق هـذه الرخصـة بعقيـدة القلـب الـتي يعلمهـا سـبحانه،= = والثانيـة هـي متعلقـة بالبشـر،والبشـر لـم يكلفهم الله تعالى إلا بالظاهر،فكيـف يعـرف المسـلم أن أخاه لم يقصد إيذاءه ، وهو يراه يدل عليه ، ويسلط الكافر عليـه ، وعلـى محـارمه ، وعلـى مـاله ، وعلـى إخـوانه ؟! ،

فكيف يحصل ذلك وهو مكلف بالظاهر ، وكذلك لا توجد رخص له في فعل ذلك أبداً ، والله قد علم ما سيحصل في مثل هذه الرخص من المفاسد فحرّمها ، والله أعلم.
فالحمد الله الذي أعزنا بالإسلام ، فاللهم أعز الإسلام بنا .

[illegible] [illegible] [illegible] [

[illegible] (illegible) [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

- فهذا جزء من الجواب مـن الناحيـة الشـرعية وإليك الجزء الآخـر مـن الناحيـة العقليـة ، وإن كان في الشرعية غنيةٌ ، ولكن رداً على الـذين يقولون بالعقل ، بأن الضرر وقع على المسلم حتى لا يستطيع الدفع إلا بـالاعتراف ، فنقـول وبالله التوفيق وله الحمد :

إن الجانب العقلي يرى المصلحة والمفسدة ، ويفضـل المصـلحة علـى المفسـدة وكـذلك الشـرعي ، وأيضـاً يفضـل المفسـدة الصـغرى علـى الكـبرى ، فهـو يـدفع المفسـدة الكـبرى بالصـغرى ، إن كـان لا سـبيل إلا هـذا ، وكـذلك الجانب الشرعي ، أما إذا حصـل العكـس فهـذا ليس بالعقل بل فعل المجانين ، ونحن لا نــرى مصلحة في هـذا النـوع مـن الإكـراه ، بـل هـي مفسدة ، ومفسدة كبرى ، لأسباب عدة منها :

1- ضرر المسلم بنفسه حيث يظن أنه سينجو من التعذيب والسـجن والقتـل عنـد الاعـتراف

على إخوانه تحت الإكراه ، فيزيد عليه الضرر والأذى ويتسلط عليه الكفار أكثر من الأول وكذلك يشمت به الأعداء لأنه لم يحافظ على إخوانه ، ودل عليهم ، فيسقط من أعين الكفار ، ومن أعين المسلمين ، وقد يوقعه ذلك في عدم الثقة بالله وبنصر الله ، وفي الفتنة والسقوط في حفرة الردة والعياذ بالله .

2- إلحاق الضرر بالمسلمين ، بعد إن كان الضرر بواحد تعدى الضرر إلى المسلمين ، فيتسلط الكفار عليهم ، ويعرض المسلمين للفتنة وأعظمها فتنة الكفر والعياذ بالله .

3- إلحاق الضرر بأهالي المسلمين من فقدان العائل لهم ، وتعرضهم أيضاً للسجن والأذى من الكفار ، وفقد الأب والزوج والأخ ، وهكذا حتى يصل الحد إلى هتك الأعراض ، كما حصل من قِبَلِ الكفار عليهم لعائن الله ، إن كان في الأهل أو غيرهم ، والواقع يشهد على ما حصل في كثير من الدول التي تحكم بشريعة الغاب شريعة الشيطان نعوذ بالله منهم .

4- إصابة الضرر للجماعة المسلمة التي تسعى للعمل لدين الله ، فبالاعترافات تسقط الجماعة المسلمة أو التنظيم المسلم ، وكل ذلك بسبب اعتراف واحد منهم على الباقين ، ومن أجل دفع مفسدة صغرى أدى إلى مفسدة كبرى .

5- إلحاق الضرر بالمجاهدين والعاملين لدين الله في ذلك البلد ، ويتعدى منهم إلى باقي

البلــدان ، فالواحــد يكــون ســبباً فــي ضــرر العشرات بل المئـات ، وهـذا فيـه ضـربة لـدين الله ومساهمة في إطفاء نور الله تعــالى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

ففــي ( الســير الكــبير ) للشــيباني وشــرحه للسرخســي رحمهمــا اللــه : " ولــو أخــذ أهــل الحرب أسيراً من المسـلمين وهـم محاصـرون حصناً من حصون المسلمين فقالوا لـه : دلنـا على موضع نفتح منه هذا الحصن ، وهو يعــرف ذلك ، فليس يحل له أن يفعل هذا ، لما فيه من إعانة المشركين على المسلمين ، فإن هـددوه بالقتل على ذلك فإن كان أكبر الرأي منه على أنه يفتح إن فعل ذلك وظفروا بالحصن فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية فليس يسعه أن يدلهم ، لأن فـي فعلـه ذلـك هلاك للمسـلمين ، وليـس للمسلم أن يجعل روح جماعة المسلمين وقاية لروحه .

ألا ترى أن المكره علـى القتـل لا يحـل لـه أن يقتل المقصود بالقتـل وإن كـان ذلـك شخصـاً واحـداً . فلأن لا يحـل لـه أن يفعـل ذلـك وفيـه هلاك جماعـة المسـلمين كـان أولـى ، ألا تـرى أنهم لو جاءوا في طلب رجـل مـن المسـلمين يريدون قتله ، فقالوا : دلنا عليه وإلا قتلنــاك ، وأكبر الرأي منه على أنه إن دلهم عليه قتلوه ، فإنه لا يسعه أن يدلهم عليه .

ولـو هـرب منهـم أسـيراً فقـالوا لأسـير آخـر يعرف مكانه : دلنا عليه لنقتله وإلاّ قتلناك ، لم يسعه أن يدلهم عليه ، لأن الدلالة الممكنة مــن القتل بمنزلة مباشرة القتل من وجه ، كما في

حق الصيد ، ثم في هذا ظلم الأسير الهارب ، لأنهم لا يتمكنون منه إلا بدلالته ، فهو بهذه الدلالة يُمكّنهم من قتله ، ولا رخصة في ظلم المسلم بهذا الطريق .

ألا ترى أنه لو قيل له : لنقتلك أو لتمكننا من فلانة نزني بها وهم لا يقدرون عليها إلا بدلالته ، أنه لا يسعه أن يدل عليها" [١] .

1- لا شك أن مثل دعوى الإكراه هذه المرفوضة شرعاً وعقلاً تسلط الكافر على المسلم ، وتجعل للكافر غلبة على المسلم ، ويحصل الأذى للمسلمين والنجاة للكافرين ، ومع تساقط الأفراد تسقط المجموعات والجماعات ويكون للكفار الغلبة ، وكل ذلك مما جَنَت أيدي المسلمين .

2- نقص الثقة بين المسلمين ، كلما وقع أحدهم في الأسر دلّ على إخوانه ، فتنقص الثقة بينهم ويقل العمل لدين الله لأجل الخوف والاعتراف والدلالة على بعضهم البعض ، ونقص الثقة يعني : نقص الولاء بينهم ، وهذا شر عظيم نتج عن مثل هذا الإكراه المزعوم .

وهناك شرور وأضرار أخرى ناتجة عن هذا الإكراه الكاذب المذموم شرعاً وعقلاً ، ويكفي اللبيب ما ذكرنا لكي يحافظ على نفسه وعلى إخوانه ويجعل الحكم الشرعي هو المسيّر له وليس العقل الجاهل والهوى الفارغ .

---

[١] راجع المصدر نفسه فيه فوائد ، الجزء الرابع باب ( 147) وما بعده من أبواب .

وكما قلنا ليت المسلم بعد هـذا الإكـراه ينجـو بنفسه من الكفار ، ولكن المفسدة تقـع عليـه وعلى إخوانه المسلمين ، والمصـيبة أن عامـة النـاس تعـرف ذلـك ، أي كلمـا وقـع واحـد جـرَّ الباقي ، وتعدى البلاء على الكل .

وكل مـن يخالفنـا مـن أهـل البـدع والأهـواء ، وحتى أهـل الكفـر يعرفـه عنـا ، وهـذه نقطـة ضعف تسجل علينا ، لتكون طعناً في دين اللـه ( لو كان فيكم خير ما دل بعضكم علـى بعـض ) كما يقولون.

ونحـن نـرى اليـوم وقبلـه وقـوع الكفـار مـن التنظيمات المعارضة للحكومـات فـي الأسـر ، ولكنهـم لا يـدلون علـى بعضـهم البعـض ، ويصبرون على البلاء فـي سـبيل نجـاة إخـوانه الكفرة ، فهذه نقطة ضعف أخرى علينا ، فهـل من مُدّكر ؟ .

وكذلك يحـرم علـى المسـلم أن يعـترف علـى نفسه ، وأنه هو الذي عمـل كـذا وكـذا أو عنـده كـذا وكـذا ، فكمـا أن حرمـة أنفـس غيـره مـن المسلمين ثابتة في حقه ، فكذلك أيضا نفسه ، ويحرم على المسلم أن يعترف على أخيـه وإن رضي أخوه أو كـان غائبـاً أو بعيـداً أو فـي بلـد آخر بعيداً ع ن أي دي الكفـار ، فكـل ذلـك ضـرر بالمسلمين ، وأذى لهـم وتسـلط للكفـار علـى المسلمين ، فلا فرق بين هذا وما ذكرنا سابقاً ما دام يقع على النفس المسلمة المعصومة .

## فصل

وإننا ننصح إخواننا جميعاً أن يكونوا يداً واحدة وأن يدفع المسلم نفسهُ ومالهُ في سبيل اللـه ليفـدي إخـوانه المسـلمين ، وأن يثقـوا بنصـر الله لهم ، وأن يكونوا قريبين من الله في كــل وقت ، وليكبر وليتسع وليقـوى الـولاء بينهـم ، وليقل الواحد منهم للكفار إذا وقع في الأسـر : لا أعرف أحـداً ، وإن ضـربوه وإن عـذبوه ، أو حـتى قطعـوا منـه الأعضـاء وإن هـم قتلـوه ، وليكن قـدوةً لغيـره ، ومـن المحـافظين علـى إخوانه ، الباذلين الأنفس في سبيل الله إنقاذاً لإخـــوانه وأهليهـــم ودينهـــم ومجموعـــاتهم وتنظيماتهم ، حتى يلقى الله تعالى وهو راضٍ عنـه فهـذه مـن أوثـق عـرى الإيمـان ، الـولاء للمسلمين والعداء للكافرين ، وهو الحـب فـي الله والبغض في الله .

ولا يعني ما كتبنا أننا نطعن في إخواننا أو أننا نسخر منهم ، فـذلك فعـل المنـافقين ، ولكـن هي ذكرى أحببنا تذكرتهم بها ، وهي كلمة حـق ، كان الواجب علينا القول بها ، فإن كنـا كتبنـا بهـذه اللهجـة القويـة وتلـك الكلمـات الجافـة فإنما لِعِظَمِ الجريمة وشناعة الموقـف والآلام التي فينا، فالمسلمون يتساقطون الواحد تلـو الآخـر ، وكـل ذلـك مـن جنـي أيـدينا وحصـائد ألسـنتنا ، فـإن كـان الموقـف قويـاً فلتكـن الكلمـات قويـة , والـردود قويـة ، وإن كـانت الخسارة كبيرة في صـفوفنا ، فهـذه الكلمـات وهــذه الكتابــة لا تســاوي شــيئاً أمــام تلــك الخسارة ، فليتحمل الواقع في مثل هذا الأمـر

هـذه الكتابـة وهـذه الكلمـات ، ولا ييـأس مـن رحمة الله ، فالمؤمن لا ييأس من رحمـة اللـه ، ولكـن يسـعى إلـى التغييـر مـن الخطـأ إلـى الصواب ، وقد يكـون لإخواننـا تـأويلات وقعـوا فيها أو رخص أجازت لهـم ذلـك ، فـالله يهـدي إلـى صـراطه المسـتقيم وهـو يغفـر الـذنوب جميعاً ، فليعمل المسلم لصفحة جديدة وليقم بـالخير والإصـلاح مـا اسـتطاع ، ولتكـن همتـه عالية وليسـعَ للعلـم والتعلـم ، ولا يعمـل عملاً حتى يعلم حكم الله فيـه بالـدليل الصـحيح مـن الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح .

ونسأل الله تعالى أن تكون هذه الرسالة عوناً للمسلمين على ما هـم فيـه مـن ضـعف وقلـة حال ، وتكون رداً لإخواننا إلى جـادة الصـواب ، والاجتماع على الحق ، وللعمـل بمـا فيهـا مـن الحـق ، وتكـون خطـوةً إلـى تـأليف القلـوب والتوادّ بين المسلمين ، إنه هو السميع العليـم .

أقــول أخيــراً : كــان علينــا علــى الأقــل أن نتمسك بحرمة الاعتراف والإضرار بالمسلمين مع الإكراه ، لأن الواقع يشهد لنا بالسقوط مع الأخـذ بـالرخص الموهومـة فـي حالـة الإكـراه المزعوم ، فالخسائر كثيرة بمثل هذه الرخــص فعلينــا بــالعزائم إن كــان الحكــم دائــراً بيــن الرخصة والعزيمة ، ولكن الحكم أكبر من ذلك ، كما أوضحنا سـابقاً ، إنمـا هـو حرمـة الإضـرار بالمسلمين مع وجود الإكراه المزعوم .

وأختــم كلامــي بهديــة أقــدمها لإخواننــا الموحدين وهي كلمات

لسيد قطب رحمه الله من كتابه ( في ظلال القـرآن ) ، عنـد تفسـير قـوله تعـالى ﴿ الم ﴿ أَحَسِـبَ النَّـاسُ أَنْ يُتْرَكُـوا أَنْ يَقُولُـوا آمَنَّـا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] :

" إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هـو حقيقـة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتـاج إلى صبر وجهد يحتاج إلى احتمال ، فلا يكفـي أن يقول الناس : آمنّـا ، وهم لا يتركون لهـذه الدعوى ، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتـوا عليهـا أو يخرجـوا منهـا صـافية عناصـرهم خالصـةً قلوبهم ، كما تفتن النار الـذهب لتفصـل بينـه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ، وهـذا هـو أصل الكلمة اللغوي وله دلالته وظله وإيحاؤه ، وكذلك تصنع الفتنـة بـالقلوب ، وهـذه الفتنـة على الإيمان أصل ثـابت ، وسـنة جاريـة ، مـن ميزان الله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِـمْ فَلَيَعْلَمَـنَّ اللَّـهُ الَّـذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت:3] . واللـه يعلـم حقيقـة القلـوب قبـل الابتلاء ، ولكـن الابتلاء يكشـف فـي عـالم الواقـع مـا هـو مكشوف لعلـم اللـه ، مغيـب عـن علـم البشـر فيحاسب الناس إذاً على ما يقع مـن علمهـم ، لا على مجرد ما يعلمـه سـبحانه مـن أمرهـم ، وهو فضل من الله من جانب وعدل من جـانب ، وتربية للناس مـن جـانب ، فلا يأخـذ أحـداً إلا بمـا اسـتعلن مـن أمـره وبمـا حققـه فعلـه ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه.

ونعود إلى سنة الله في ابتلاء الـذين يؤمنـون وتعريضهم للفتنة ، حـتى يعلـم الـذين صـدقوا منهم ويعلم الكاذبين .

إن الإيمان أمانة اللــه فــي الأرض ، لا يحملهـا إلا من هم لها أهل ، وفيهـم علـى مـن حملهـا قدرة ، وفي قلـوبهم تجـرد لهـا وإخلاص ، وإلا الذين يؤثرونها علـى الراحـة والدعـة ، وعلـى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء ، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض ، وقيادة الناس إلــى طريق الله ، وتحقيق كلمته في عـالم الحيـاة ، فهي أمانة كريمة وهي أمانة ثقيلـة ، هـي مـن أمر الله يضطلع بها الناس ، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء .

ومــن الفتنــة أن يتعــرض المــؤمن للأذى مــن الباطل وأهله ثم لا يجد النصـير الـذي يسـانده ويـدفع عنــه ، ولا يملــك النصــرة لنفســه ، ولا المنعة ، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان ، وهذه هي الصورة البارزة للفتنة ، المعهــودة في الذهن حيـن تـذكر الفتنـة ، ولكنهـا ليسـت أعنف صـور الفتنـة ، فهنـاك فتـن كـثيرة فـي صور شتى ، وربما كانت أمرَّ وأدهى .

هنــاك فتنــة الأهــل والأحبــاء الــذين يخشــى عليهم أن يصـيبهم الأذى بسـببه وهـو لا يملـك عنهــم دفعــاً ، وقــد يهتفــون بــه ليســالم أو ليستسـلم ، وينـادونه باسـم الحـب والقرابـة ، واتقاء الله في الرحـم الـتي يعرضـها للأذى أو للهلاك ، وقد أشير في هذه السورة إلــى لــون من هذه الفتنة مع الوالدين وهو شاق عسير .

وهنـــاك فتنـــة إقبـــال الـــدنيا علـــى المبطليـــن،ورؤيـــة النـــاس لهـــم نـــاجحين ، مرمـــوقين ، تهتـــف لهـــم الـــدنيا وتصـــفق لهـــم الجمـــاهير ، وتتحطـــم فـــي طريقهـــم العوائـــق وتساغ لهم الأمجاد ، وتصفو لهم الحياة ، وهـــو مهمل منكر لا يحس بـــه أحـــد ، ولا يحـــامي عنـــه أحـــد ، ولا يشـــعر بقيمـــة الحـــق الـــذي معـــه إلا القليلون من أمثاله الذين لا يملكـــون مـــن أمـــر الحياة شيئاً.

وهناك فتنة الغربـــة فـــي البيئـــة والإســـتيحاش بالعقيدة ، حيـــن ينظـــر المـــؤمن فيـــرى كـــل مـــا حوله ، وكل ما حوله غارقاً في تيـــار الضـــلالة ، وهو وحده موحش غريب طريـــد ، وهنـــاك فتنـــة من نوع آخر قـــد نراهـــا بـــارزة فـــي هـــذه الأيـــام فتنة قد يجـــد المـــؤمن أمـــاً ودولاً غارقـــةً فـــي الرذيلة ، وهي مع ذلك راقيـــة فـــي مجتمعهـــم ، متحضـــرة فـــي حياتهـــا ، يجـــد الفـــرد فيهـــا مـــن الرعاية والحمايـــة مـــا يناســـب قيمـــة الإنســـان ، ويجدها غنية قوية وهي مشاقةٌ لله .

وهنالـــك الفتنـــة الكـــبرى ، أكـــبر مـــن هـــذا كلـــه وأعنـــف ، فتنـــة النفـــس والشـــهوة ، وجاذبيـــة الأرض ، وثقلـــة اللحـــم والـــدم ، والرغبـــة فـــي المتاع والسلطان ، أو في الدعة والاطمئنـــان ، وصـــعوبة الاســـتقامة علـــى صـــراط الإيمـــان ، والاســـتواء علـــى مرتقـــاه ، مـــع المعوقـــات والمثبطات في أعماق النفس وفي ملابســـات الحياة وفي منطق البيئة ، وفي تصورات أهـــل الزمان ، فإذا طـــال الأمـــد ، وأبطـــأ نصـــر اللـــه ، كانت الفتنة أشد وأقسى ، وكـــان الابتلاء أشـــد

وأعنف ، ولم يثبت إلا من عصم الله ، وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان ، ويأتمنون على تلك الأمانة الكبرى ، أمانة السماء في الأرض ، أمانة الله في ضمير الإنسان ، وما بالله – حاشا لله – أن يعذب المؤمنين بالابتلاء ، وأن يؤذيهم بالفتنة ، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة ، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق ، وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات ، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام ، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو ثوابه ، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء .

والنفس تصهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث ، وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع ، وتطرقها بعنف وشدة ، فيشتد عودها ، ويصلب ويصقل ، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات ، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً ، وأقواها طبيعةً ، وأشدها اتصالاً بالله وثقةً فيما عنده من الحسنيين : النصر أو الأجر ، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار ، إنهم ليتسلمون الأمان وهي عزيزة على أنفسهم بما أدوا لها من غالي الثمن ، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن ، وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات ، والذي يبذل من دمه وأعصابه ومن راحته واطمئنانه ، ومن رغائبه ولذاته ، ثم يصبر على الأذى والحرمان يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي

بذل فيها ما بذل ، فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام .

فأما انتصار الإيمان والحق في النهاية فأمرٌ تكفل به وعد الله ، وما يشك مؤمن في وعد الله ، فإن أبطأ فلحكمة مقدرة ، فبها الخير والإيمان لأهله ، وليس أحد بأغير على الحق وأهله من الله ، وحسب المؤمنين الذين تصيبهم الفتنة ويقع عليهم البلاء أن يكونوا هم المختارين من الله ليكونوا أمناء على حق الله وأن يشهد الله لهم بأن في دينهم صلابة ، فهو يختارهم للابتلاء .

جاء في الصحيح : » أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، ويبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء « .

وأما الذين يفتنون المؤمنين ، ويعملون السيئات فما هم بمفلتين من عذاب الله ولا ناجين مهما انتفخ باطلهم وانتفش وبدا عليه الانتصار والفلاح .

وعد الله كذلك وسنته في نهاية المطاف ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [العنكبوت:4]

فلا يحسب مفسد أنه مفلتٌ ولا سبق ومن يحسب هذا فقد ساء حكمه وفسد تقديره ، واختل تصوره ، فإن الله الذي جعل الابتلاء سنة ، ليمتحن إيمان المؤمن ، ويميز بين الصادقين والكاذبين ، هو الذي جعل أخذ المسيئين سنة لا تتبدل ولا تتخلف ولا تحيد .

وهذا هو الإيقاع الثاني في مطلع السورة الذي يوازي الإيقاع الأول ويعادله ، فإذا كانت الفتنة سنة جارية لامتحان القلوب وتمحيص الصفوف ، فخيبة المسيئين وأخذ المفسدين سنة جارية لا بد أن تجئ .

أم الإيقاع الثالث فيتمثل في تطمين الذين يرجون بقاء الله ، ووصل قلوبهم به في ثقة وفي يقين.

﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[العنكبوت : ].

فلتقر القلوب الراجية في لقاء الله ولتطمئن ، ولتنتظر ما وعدها الله إياه ، إنتظار الواثق المستيقن ، ولتطلع إلى يوم اللقاء في شوق ولكن في يقين .

والتعبير يصور هذه القلوب المتطلعة إلى لقاء الله صورة موحية ، صورة الراجي المشتاق ، الموصول بما هناك ، ويجيب على التطلع بالتوكيد المريح ، ويعقب عليه بالطمأنينة الندية ، يدخلها في تلك القلوب ، فإن الله يسمع لها ، ويعلم تطلعها ، ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[العنكبوت:].

والإيقاع الرابع يواجه القلوب التي تحتمل تكاليف الإيمان ، وما مشاق الجهاد ، بأنها إنما تجاهد لنفسها ولخيرها ولاستكمال فضائلها ، ولإصلاح أمرها وحياتها ، وإلا فما بالله من حاجة إلى أحد ، وإنه لغني عن كل أحد .

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت : ] .

فإذا كتب الله على المؤمنين الفتنة وكلفهم أن يجاهدوا أنفسهم لتثبت على احتمال المشاق ، فإنما ذلك لإصلاحهم ، وتكميلهم ، وتحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة ، والجهاد يصلح من نفس المجاهد وقلبه ، ويرفع من تصوراته وآفاقه ، ويستعلي به على الشح بالنفس والمال ، ويستجيش أفضل ما في كيانه من مزايا واستعدادات ، وذلك كله قبل أن يتجاوز به شخصه إلى الجماعة المؤمنة ، وما يود عليها من صلاح حالها ، واستقرار الحق بينها ، وغلبة الخير فيها على الشر ، والصلاح فيها على الفساد ، ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ .

فلا يقفن أحد في وسط الطريق ، وقد مضى في الجهاد شوطاً ، يطلب من الله ثمن جهاده ، ويمن عليه وعلى دعوته ، ويستبطىء المكافأة على ما ناله ،فان الله لا من جهاده شيء ،وليس في حاجة إلى جهد بشر ضعيف هزيل : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ،و إنما هو فضل من الله أن يعنه في جهاده ، وأن يستخلفه في الأرض به ، وأن يأجره في الآخرة بثوابه :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [□□□□□□□□: □].

**فليطمئن المؤمنون العاملون على ما لهم عند الله ، من تكفير للسيئات ، وجزاء على الحسنات ، وليصبروا على تكاليف الجهاد ، وليثبتوا على الفتنة والابتلاء ، فالأمل المشرق والجزاء الطيب ، ينتظرانهم في نهاية المطاف ، وإنه لحسب المؤمن حتى لو فاته في الحياة الانتصاف " انتهى .**

**فهذا ما استطعت أن أجمعه وأن أكتبه في هذه العجالة ، ولله الحمد والمنة ، فما كان من خطأ فأنا راجع عنه إلى الصحيح من الحكم الشرعي ، وهو من نفسي الخاطئة ومن الشيطان نعوذ بالله منهما ، وما كان من صواب فمن الله وحده لا شريك له .**

**اللهم اجعل عملنا خالصاً لك وعلى سنة نبيك  وتقبله منا إنك سميع مجيب.**

**والحمد لله الذي بنعمته تمت الصالحات**

**شوال 1421 من**
**هجرة المصطفى**

# الفهرس

**الموضوع الصفحة**


- مقدمة للشيخ أبي محمد 3
- مقدمة المؤلف 7
- الإكراه وشروطه 9
- الأمـــر الأول : وجـــوب المـــوالاة بيـــن المسلمين 10
- الأمـــر الثـــاني : وجـــوب فـــك أســـرى المسلمين 13
- الأمر الثالث : قواعد فقهية 14
- فصـــل : الجـــواب المهـــم علـــى الســـؤال المهم (الجانب الشرعي ) 16
- شبهة والرد عليها من الحاشية 17
- الإجماع علـى حرمـة أذى المسـلمين ولـو تحت الإكراه 20
- تكملة الجواب المهـم ( الجـانب العقلـي ) 22
- نصيحة وهدية 27
- الفهرس 35